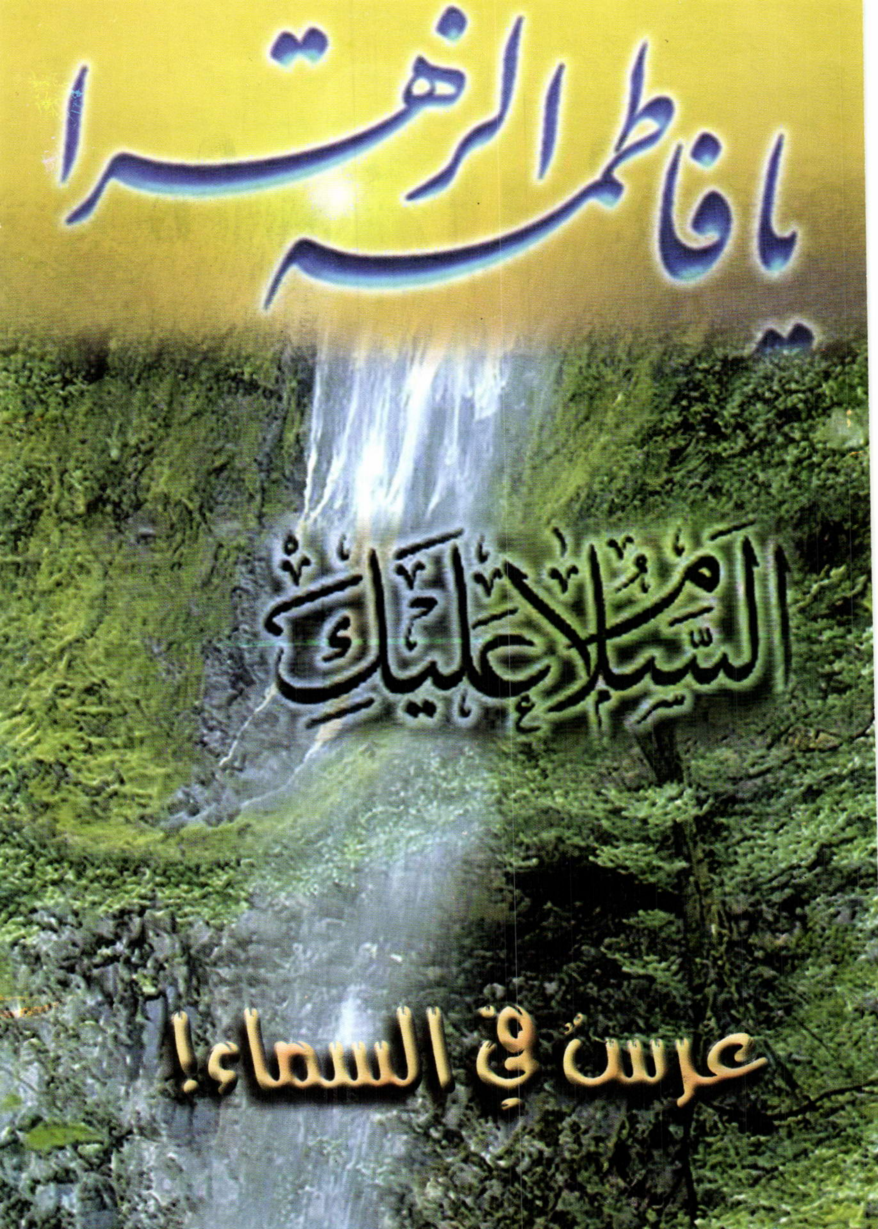

يا فاطمة الزهراء
السلام عليك
عرس في السماء!

اسم القصة: عرسٌ في السماء!
اسم السلسلة: السيرة الفاطمية(ع)
إعداد :أمل طنانة
مراجعة وتصحيح: نضال علي
رسوم: سعيد عبد الساتر
إخراج وتنفيذ: محمد الناصري
الناشر: مؤسسة الأعلمي

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م



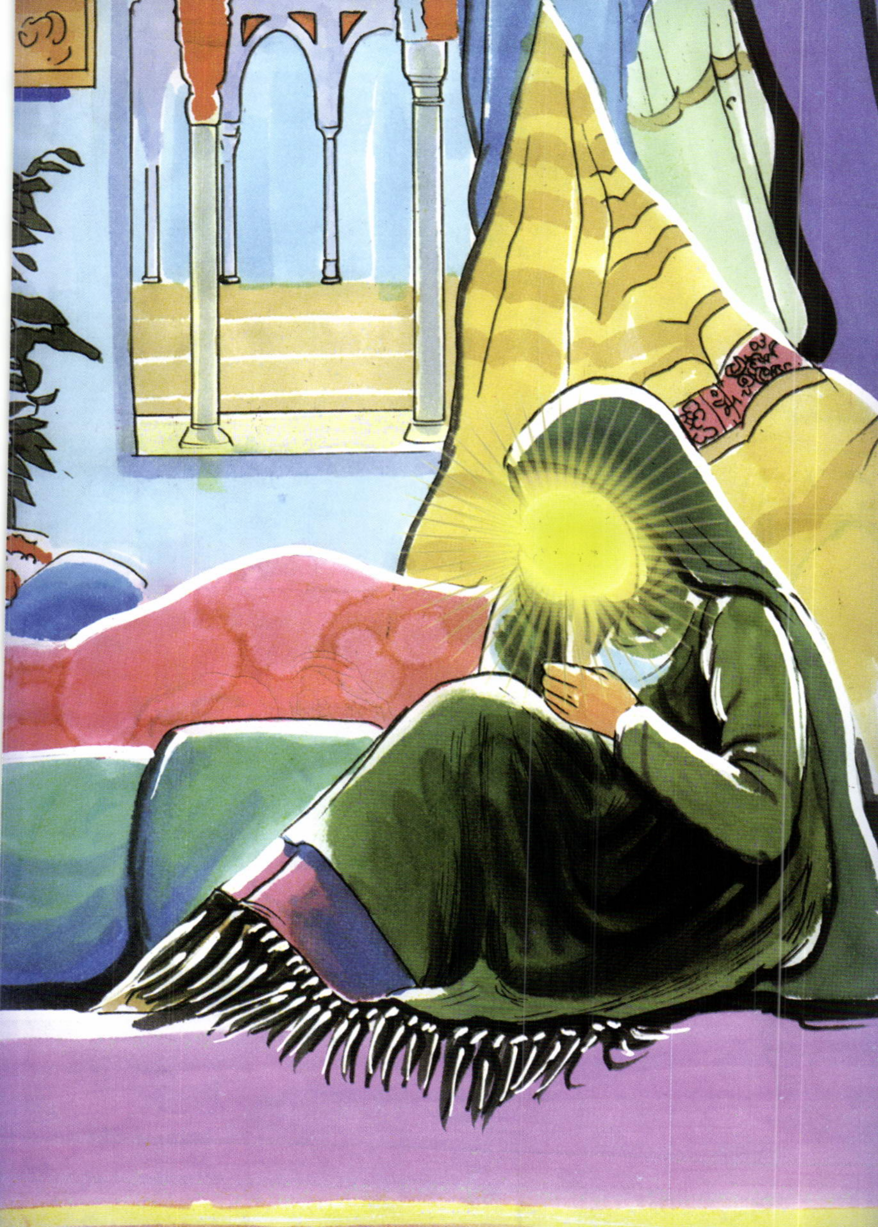
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - طريق المطار - قرب سنتر زعرور
هاتف: ٠١/٤٥٠٤٢٦ - فاكس: ٠١/٤٥٠٤٢٧
صندوق بريد: ٧١٢٠

Published by Aalami Est
Beirut Airport Road
Tel:01/4504526 Fax:01/450427
P.O.Box.7120

www.alaalami.com
E-mail:alaalami@yahoo.com



عرس في السماء



هـلْ في الأحزانِ أكثـرُ ألماً منْ قلبٍ مفطورٍ بفَقْدِ الأمِّ؟

فكيـفَ إذا كانتْ تلكَ الأمُّ خديجةَ(ع)، الّتي مـا فتئَتْ تمـلأُ حياةَ ابنتِهـا الزّهـراءِ(ع) حبّاً وحناناً منقطعَيِ النّظيرِ؟

ضاقـتِ الحياةُ على فاطمةَ(ع) بعدَ فقدِ أُمِّها، وقدْ شاءَ لها القدَرُ أيضاً أنْ ترى أباها النّبيَّ(ص) يستقي من أذى الكافرينَ ما يستقيهِ. فلا خديجةُ اليـومَ هنا كـي تحتضنَ همومَـهُ، ولا أبو طالبٍ قريباً ليَخشى المعتدونَ غضبتَهُ.

ولـم تكـنْ آلامُ محمّـدٍ(ص) بأقـلَّ من آلامِ فاطمـةَ. لا، لكنّهُ اعتادَ على أنْ يتجرّعَ الألَمَ ما أمكَنَـهُ وحيداً، ليُنئِيَ عنْ قـرّةِ عينِهِ الزّهراءِ(ع) الحزنَ والمرارةَ.

إلاّ أنّ وعيَهـا مـا كانَ لِيتـرُكَ لها لحظةً من الرّاحـةِ، وحدْسُـها النّبـويُّ حرمَها مـن نِعمةِ الجهلِ بالأخطارِ.



وظلّت الهمومُ تَتالى على قلبِ النّبيِّ (ص)، فاستفردَ المُشركونَ بأحزانِه بعدَ فَقْدِهِ العزيزَينِ الغاليينِ، وَلم يعُدْ أمامَ الضّيقِ الّذي أحاطَ بهِ، إلاّ أنْ يرحلَ بعيداً عن مكّةَ وأهلِها.

صحيحٌ أنَّ قدرةَ النّبيِّ(ص) كانتْ أقوى من كلِّ ما يُريدُهُ لهُ المشركونَ من سوءٍ، ولكنَّ أمراً إلهيّاً فرضَ على النّبيِّ(ص) أن يلجأَ إلى الهجرةِ في ذلكَ الوقتِ.

ذلكَ لأنّ اللهَ سبحانَهُ يسّرَ لهُ أنصاراً وأتباعاً في مكانٍ آخرَ غيرِ مكّةَ المكرّمةَ، وهم ينتظرونَ منهُ الإشارةَ ليبذُلوا في سبيلِ دينِهِ الدّمَ والرّوحَ والمالَ.

هؤلاءِ الأنصارُ كانوا أهلَ المدينةِ المنوّرةِ الّذينَ راحوا ينتظرونَ النّبيَّ(ص) بشوقٍ ما لهُ حدودٌ، بعدَ أن تخطّتْ أعدادُهُم ما يحتاجُهُ النّبيُّ(ص) من قوّةٍ بشريّةٍ داعمةٍ للإسلامِ، قادرةٍ على الوقوفِ في وجهِ أعدائِهِ.

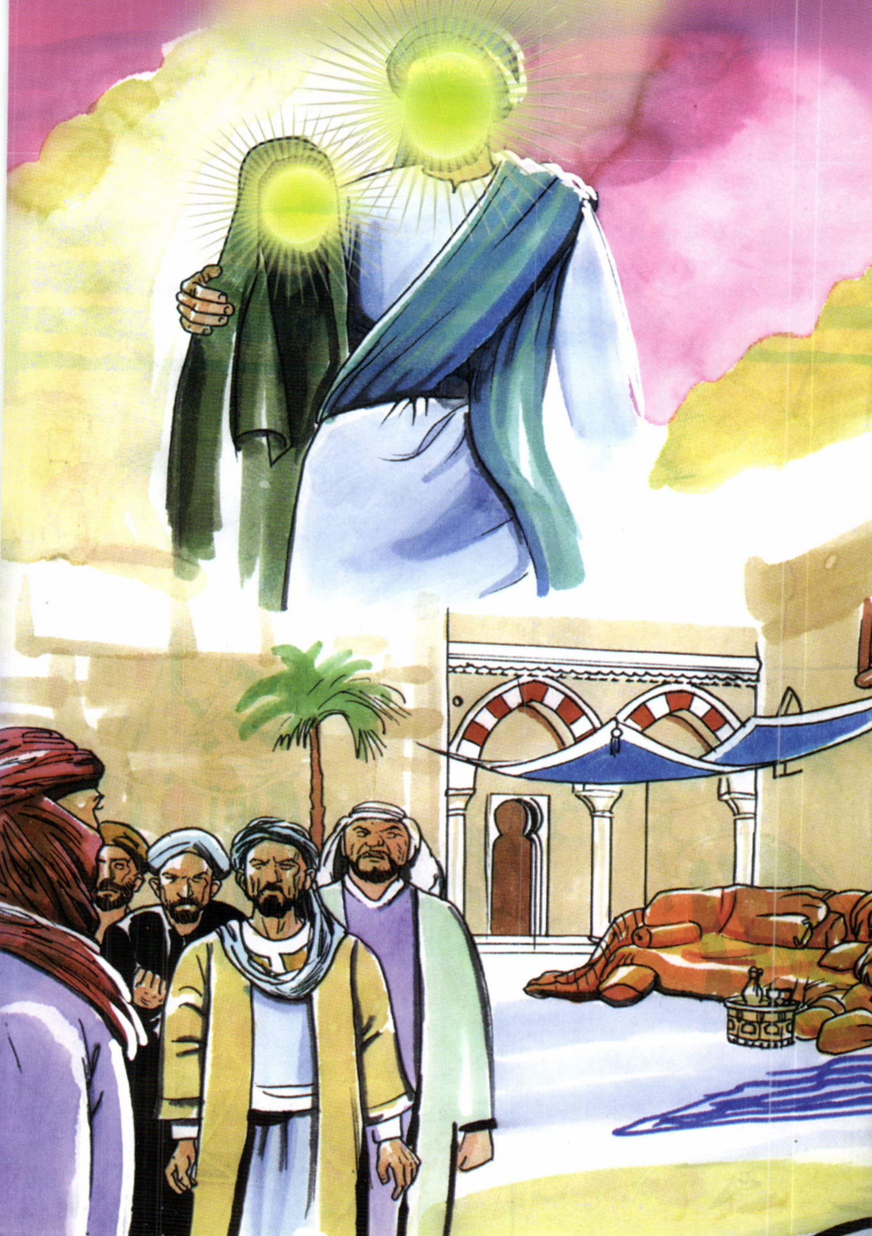


لم يكنِ المُشـــركونَ غافلينَ عن نيّةِ النّبيِّ(ص) في الخـــروجِ من مكّةَ المكرّمةِ. فهُم يُدركونَ ما حقّقَهُ الإســـلامُ الشّـــريفُ مـــنِ امتـــدادٍ في الأنحـــاءِ. وهم يتوقّعـــونَ أنَّ في هجرةِ النّـــبيِّ (ص) إلى المدينةِ قوّةً إضافيّةً سيكتســـبُها الإســـلامُ، ولا يمكنُ التّنبّؤُ فيما ستصلُ إليهِ الأمورُ من بعدِ ذلكَ.

لـــذا جـــاءَ قرارُهُـــمُ الصّريـــحُ، بعـــدَمِ السّـــماحِ لمحمّدٍ (ص) بالخروجِ من مكّةَ، مهما كانَ الثّمنُ!

كذلـــكَ كانَ النّـــبيُّ(ص) واعيـــاً تمامـــاً لخِطَـــطِ المشركينَ الّتي راحتْ تُحاكُ في الخفاءِ، ولا غرضَ لها إلاّ محاربتُهُ ومحاربةُ دينِهِ ،بعدَ أنْ بدأَتْ خيوطُ ضيائِهِ تشُقُّ ظُلُماتِ الأرضِ.

لـــذا أمَرَ أصحابَهُ بأن يتســـلّلوا من مكّةَ إلى المدينةِ تحتَ جنحِ الظّلامِ، فأطاعوا، وانطلقوا يســـبِقونَهُ إلى يثـــرِبَ أفـــراداً وجماعـــاتٍ، فيمـــا راحَ المشـــركونَ يتعقّبونَهُـــم في محاولةٍ لإرجاعِ مـــن يمكنُهُم إرجاعُهُ منهم.



لمّا أدركَ المشركونَ بأنّ الأمورَ سائرةٌ نحوَ اللاّ عودةِ، قرّروا أنّهم أمامَ مسألةِ موتٍ أوْ حياةٍ!

فماذا لو تمكّنَ محمّدٌ(ص) من الرّحيلِ؟ ستقعُ المصيبةُ الكبرى على أهلِ قريشٍ، ولن توقِفَ امتدادَ الإسلامِ بعدَ ذلكَ قوّةٌ.

لذا عقدَ المشركونَ اجتماعاً في دارِ النّدوةِ، وموضوعُ الاجتماعِ: قتلُ محمّدٍ(ص)!

ولم ينفضَّ اجتماعُهُم ذاكَ إلاّ بما يلي: تختارُ كلُّ قبيلةٍ فتىً من فتيانِها الأشدّاءِ، ويُعطى كلٌّ واحدٍ منهم سيفاً ماضياً، ويعمَدونَ إليهِ بأجمَعِهِم، فيضربونَهُ ضربةً واحدةً، فإذا فعلوا ذلكَ تفرّقَ دمُهُ بينَ القبائلِ، ولم يعُدْ باستطاعةِ بني هاشمٍ أن يطالبوا بالثّأرِ لهُ!

لكنّ اللهَ سبحانهُ وتعالى، كانَ لخِطَطِهِم بالمِرصادِ، فأخبرَ النّبيَّ(ص) بما يحوكُهُ الكفّارُ من مكائدَ، وأمرَهُ بأنْ يُواجِهَهُمْ بخِطّةٍ أخرى!



لقـــدْ أمرَ اللهُ ســـبحانَهُ النّبيَّ(ص) بـــأنْ يفوّتَ على الكافرينَ فُرْصَةَ قَتْلِهِ. وكيفَ يكونُ ذلكَ؟

بعـــدَ أن أخـــبرَ اللهُ ســـبحانَهُ رســـولَهُ بمـــا ينـــوي المشـــركونَ القيامَ بِهِ، أمَرَهُ أن يخرجَ ليلاً متوجِّهاً إلى يثـــرِبَ، على أن يأمُرَ عليّاً(ع) بأن يبيتَ في فراشِـــهِ، وأن يتّشِحَ ببُرْدِهِ الحضرميِّ!

كانـــتِ الزّهـــراءُ (ع) في بيـــتِ النّبـــوّةِ تعـــي كلَّ ذلكَ. وهاهيَ أمامَ مشـــهدٍ يُعيدُ إلى ذهنِها مشـــاهدَ عمِّهـــا أبـــي طالـــبٍ، وهـــو ينـــبري للكفّارِ بســـيفهِ المصقولِ، وصوتِهِ الرّاعدِ.

إنّهُ عليٌّ(ع) هذه المرّةَ . شِبْلٌ ابنُ أسدٍ بحقٍّ!

مـــا إن أخـــبرَ النّبيُّ(ص) عليّاً(ع) بمـــا عزمَ عليهِ الكفّـــارُ، حتّى بكى، وانســـابتْ دموعُهُ على وجنتيهِ خوفاً وإشفاقاً على النّبيِّ(ص) وابنِ عمّهِ.



وَحينَ أمرَهُ النّبيُّ(ص) بالمبيتِ في فراشِـهِ ، سألَهُ: " أَوَ تَسْلَمُ يارسولَ اللّٰهِ؟".

فقالَ النّبيُّ(ص): " نعم. بذلكَ وعدَني ربّي." .

فتهلّلَ وجهُ الإمامِ(ع) فرحاً وسروراً. لأنَّ سلامةَ ابنِ عمّهِ كانتْ همَّهُ الأوّلَ، ومن أجلِها تهونُ كلُّ الصِّعابِ.

وانتظرَ الإمامُ(ع) اللّيلَ ليبسُطَ سوادَهُ،ثمَّ تقدّمَ فاتّشحَ ببُردِ النّبيِّ(ص) الحضرميِّ الّذي كانَ يتّشحُ بهِ، ثمَّ تمدّدَ في فراشِهِ في انتظارِ قُدومِ الكفّارِ.

فعلَ الإمامُ(ع) ذلكَ فيما النّبيُّ(ص) متّجِهٌ نحو يثربَ بأمانٍ. أمّا الزّهراءُ(ع) فقد تركَها أبوها النّبيُّ(ص) في رعايةِ اللّٰهِ سبحانَهُ وعنايتِهِ.

وحضَرَ المشركونَ لينفّذوا ما عزموا عليهِ، ولكن أنّى لهم ذلكَ وسيفُ ابنِ أبي طالبٍ(ع) قد هيّأَ لهم أحسنَ استِقبالٍ!



لم يكَدْ يطلَعِ الفجرُ حتّى كانَ النّبأُ قد تسرّبَ إلى بيوتِ مكّــةَ. لقد نجا محمّدٌ(ص) منْ مكائدِ الكفّارِ، بعــدَ أنْ قصــدوا فراشَــهُ فلم يجــدوا ســوى اللّيثِ الغضــوبِ، علــيٍّ(ع) ابنِ عمّــهِ، ينتظرُهُــمْ لينزِعَ السّــيفَ من يدِ أشــرسِ فرســانِهِم، وينقضَّ عليهِم، فيفِرّوا من بينِ يديهِ مذعورينَ خائبينَ!

حــينَ عَلِمَــتِ الزّهراءُ(ع) بذلــكَ، قرَّتْ عينُها، وهدأَ بالُها، بعدَ ليلةٍ لم يغمضْ لها فيها جفنٌ.

إذاً آنَ الأوانُ لتنفيــذِ الإمــامِ(ع) للمهمّــةِ النّبويّةِ الثّانيةِ: خــروجِ أميرِ المؤمنــينَ(ع) بالفواطمِ، وهنَّ: الزّهراءُ بنتُ الرّسولِ(ص)، وفاطمةُ بنتُ أسدٍ أمُّ أميرِ المؤمنــينَ(ع)، وفاطمةُ بنتُ الزّبــيرِ بنُ عبدِ المطّلبِ، وفاطمةُ بنتُ حمزةَ والتّوجّهَ بهنّ إلى المدينةِ.

لم تكنْ هذهِ المهمّةُ ســهلةً! فالمشركونَ يسيرونَ في أعقــابِ النّــبيِّ(ص)، ولن يتوانَوا عــن فعلِ أيّ عملٍ مؤذٍ، يمكنُ أن يردَّهُ إلى مكّةَ بعدَ خروجِهِ منها.



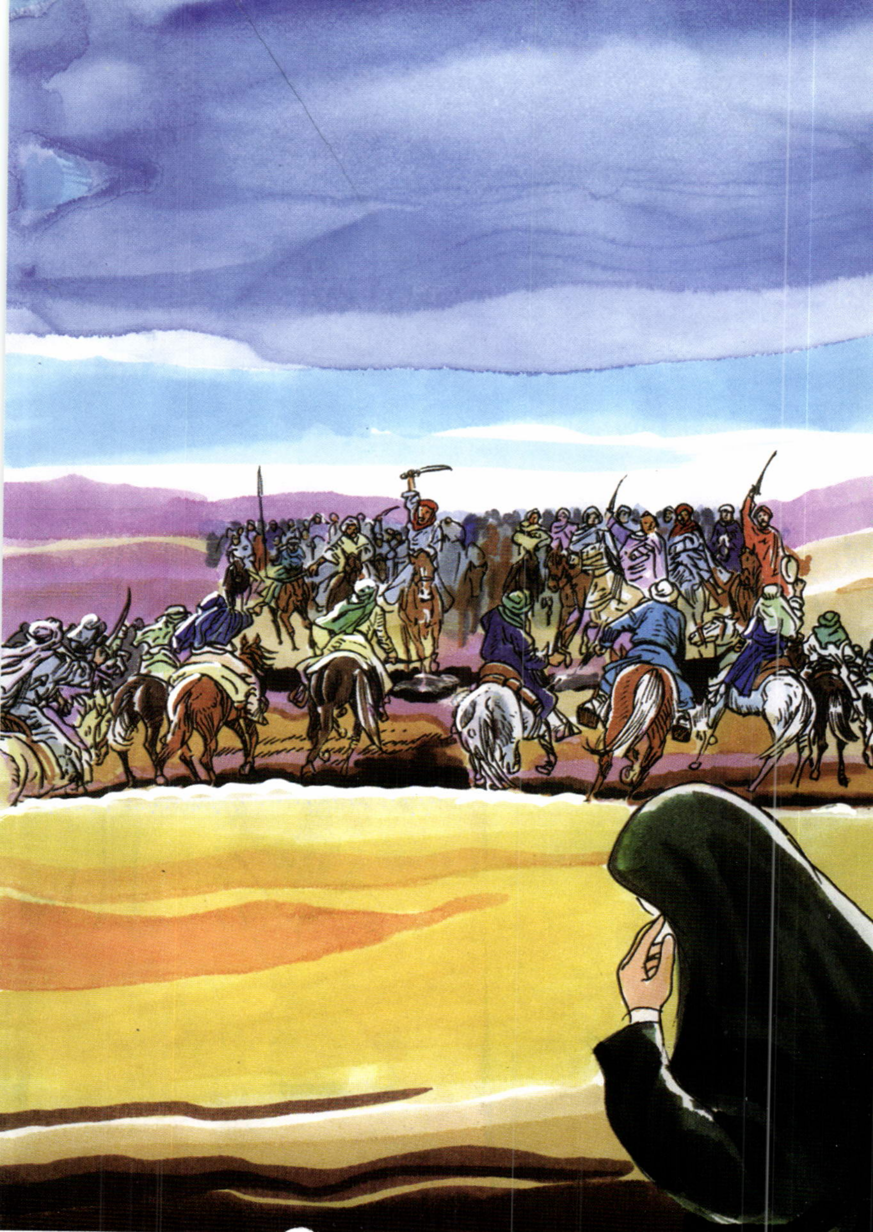
ابتاعَ الإمامُ عليٌّ(ع) ركائبَ لمن معهُ من النّساءِ، ثمّ مضى بهنَّ بعد أن أدّى أماناتِ النّبيِّ(ص) لأصحابِها. وقد أمرَ ضُعفاءَ المؤمنينَ بأن يتسلّلوا ليلاً من مكّةَ إلى المدينةِ.

وقد لحِقتْ بالإمامِ(ع) أمُّ أيمنَ مولى رسولِ اللهِ(ص)، وأبو واقدٍ اللّيثيُّ، فراحَ أبو واقدٍ يسوقُ رواحلَ النّساءِ بسرعةٍ وعجلةٍ، فقالَ لهُ الإمامُ عليٌّ(ع): "إرفِقْ بالنّسوةِ يا أبا واقدٍ.".

ثمَّ راحَ(ع) يسوقُ الرّواحلَ، غيرَ مبالٍ بمن يتعقّبُهُ من المشركينَ، ولسانُ فاطمةَ(ع) يلهجُ بالابتهالِ والدُّعاءِ.

وفي الطّريقِ حدثَ أن تجرّأَتْ جماعةٌ من المشركينَ على اللّحاقِ بعليٍّ(ع)، فكانَ سيفُ الإمامِ(ع) لهم بالمرصادِ، واستطاعَ أن يردَّهُم على أعقابِهِم بعدَ أن قتلَ منهُم مَنْ قتلَ.

وبعدَ مشقّةٍ وعناءٍ وصلَ الإمامُ(ع) بالنّساءِ، وقد تجرّحَتْ قدماهُ، فاستقبلَهُ النّبيُّ(ص) بالدّموعِ رحمةً وشفقةً وفرحاً بإيصالِهِ الأمانةَ بخيرٍ وسلامٍ.



وصلتِ الزّهراءُ(ع) إلى المدينةِ، وقرّتْ بوصولِها عينُ أبيها محمّدٍ(ص)، وسُرَّ فؤادُهُ.

لكنّ التّجاربَ الصّعبةَ الّتي عاشتْها (ع) لم تنتهِ بذلكَ الانتقالِ.

فالمشركونَ ما زالوا يتربّصونَ بالنّبيِّ(ص)، ويحاولونَ ما أمكنَهُم أن ينالوا من دينِهِ، وهم مستعدّونَ لأجلِ ذلكَ أن يدفعوا أغلى الأثمانِ.

هذا الأمرُ تدركُ الزّهراءُ(ع) مخاطرَهُ، وتَعي أعباءَهُ وتبعاتِهِ. لذا ظلّتْ بحسِّها المرهفِ، وقلبِها الرّقيقِ، تعيشُ قلقاً يغلي في عروقِها، ويتردّدُ معَ أنفاسِها.

لكنّ إيمانَها العميقَ، حَمَلَ لها إلى جانبِ حُبِّها العظيمِ لوالدِها الرّسولِ(ص) وخوفِها عليهِ، ثقتَها اللّامتناهيةَ بأنّ اللهَ سبحانهُ لن يتخلّى عنهُ، ولن يُمْكِنَ أعداءَهُ منهُ.

ولم تمضِ على وصولِ النّبيِّ(ص) إلى المدينةِ سنةٌ واحدةٌ، حتّى حشدَ المشركونَ جيوشَهُم وتهيّأوا لقتالِهِ، فكانتْ موقعةُ بدرٍ الكبرى الّتي نصرَ اللهُ سبحانهُ فيها المسلمينَ نصراً عزيزاً!



فـي زَمَـنٍ قريبٍ من هـذا الزّمـانِ، اكتمَلَ نموُّ الزّهـراءِ(ع) وصـارَتْ مضربـاً للمثلِ فـي جمالِ وجهِها وضيائِهِ، بالإضافةِ إلى ما تحلَّتْ بهِ من أدبٍ قويمٍ، وخُلُقٍ منقَطِعِ النَّظيرِ.

ومـا كانتِ الزّهراءُ تتعدّى العاشِـرَةَ من عمرِها! لكنَّ اللهَ سـبحانَهُ اختصَّهـا بالكمالِ باكراً، وحباها بآيـاتٍ منَ النُّضجِ الّذي لم يتوفّـرْ أبداً لمن هنّ في مثلِ عمرِها!.

ففيها خليطٌ منَ الذّكاءِ، والعقلِ، والرّشـدِ. وفيها مـا لايمكِنُ إحصاؤُهُ من فضائلَ، ميَّزَتْها عنْ نسـاءِ الأرضِ جميعِهِنَّ.

لهـذِهِ الصّفـاتِ وغيرِها باتَتِ الزّهـراءُ(ع) أمنيةً غاليةً في نفوسِ أشـرفِ أشرافِ المُسلمين.فجاءَ - من يجـرُؤُ منهُم - قاصـداً دارَ النّبـيِّ(ص)، طالباً يدَها.

وكانَ جوابُ النّبيِّ(ص) الدّائِمُ:" أمرُها إلى ربِّها، إن شاءَ أن يزوِّجها، زوّجَها.".



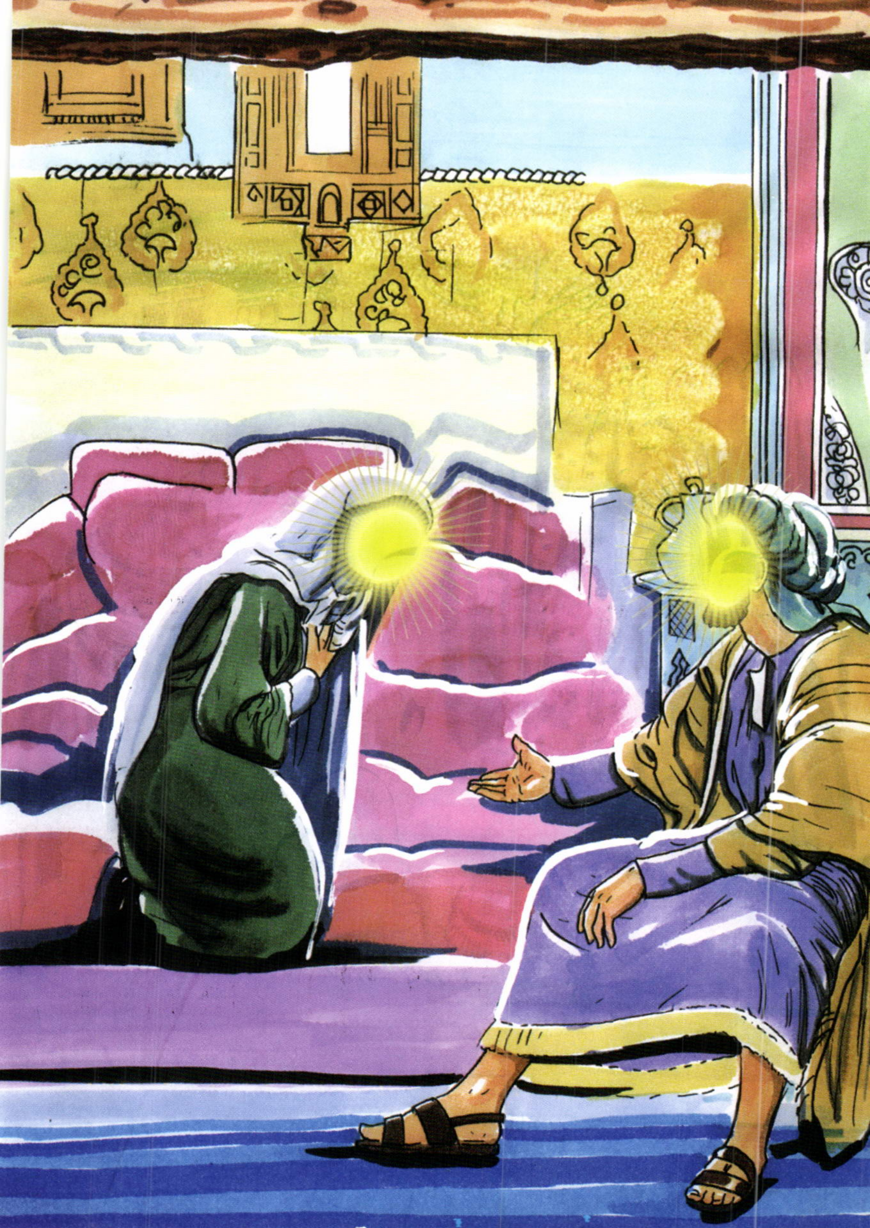
تُرى ماذا يعني النّبيُّ(ص) بما قالَهُ للخاطبينَ؟ أليسَ بينَهُم من يصلُحُ ليكونَ زوجاً لابنتِهِ فاطمةَ، وهم من أوائلِ المسلمينَ وأشرافِ العربِ؟

أسئلةٌ كانَ المسلمونَ يتداولونَها فيما بينَهُم، ولم يكونوا يعلمونَ، أنّ ما في الكونِ كلّهِ من كُفءٍ للبتولِ،إلاّ رجلٌ واحدٌ، واحدٌ ولا كُفْءَ لَها سواهُ.

كانَ الإمامُ عليٌّ(ع) في ذلكَ الوقتِ يعيشُ في فقرٍ شديدٍ، فقرٍ لم يمكّنهُ من أن يذكُرَ شيئاً لأحدٍ عن رغبتِهِ في الزّواجِ من فاطمةَ(ع).

إنّهُ يقيمُ في بيتِ أحدِ أصحابِ النّبيِّ(ص)، وليسَ لديهِ بيتٌ ولا بستانٌ ولا مالٌ. وفاطمةُ(ع) ليستْ أيّةَ فتاةٍ. إنّها بنتُ محمّدٍ خاتمِ الأنبياءِ، وهلْ في الدُّنيا أعظمُ من هذا الشّرفِ؟

على كلِّ حالٍ،لِمَ لا يقاومُ خجلَهُ الّذي يمنعُهُ من أن يطرُقَ بابَ النّبُوّةِ بطلَبِهِ هذا؟ علّ الله يقدّمُ ما فيهِ الخيرُ!



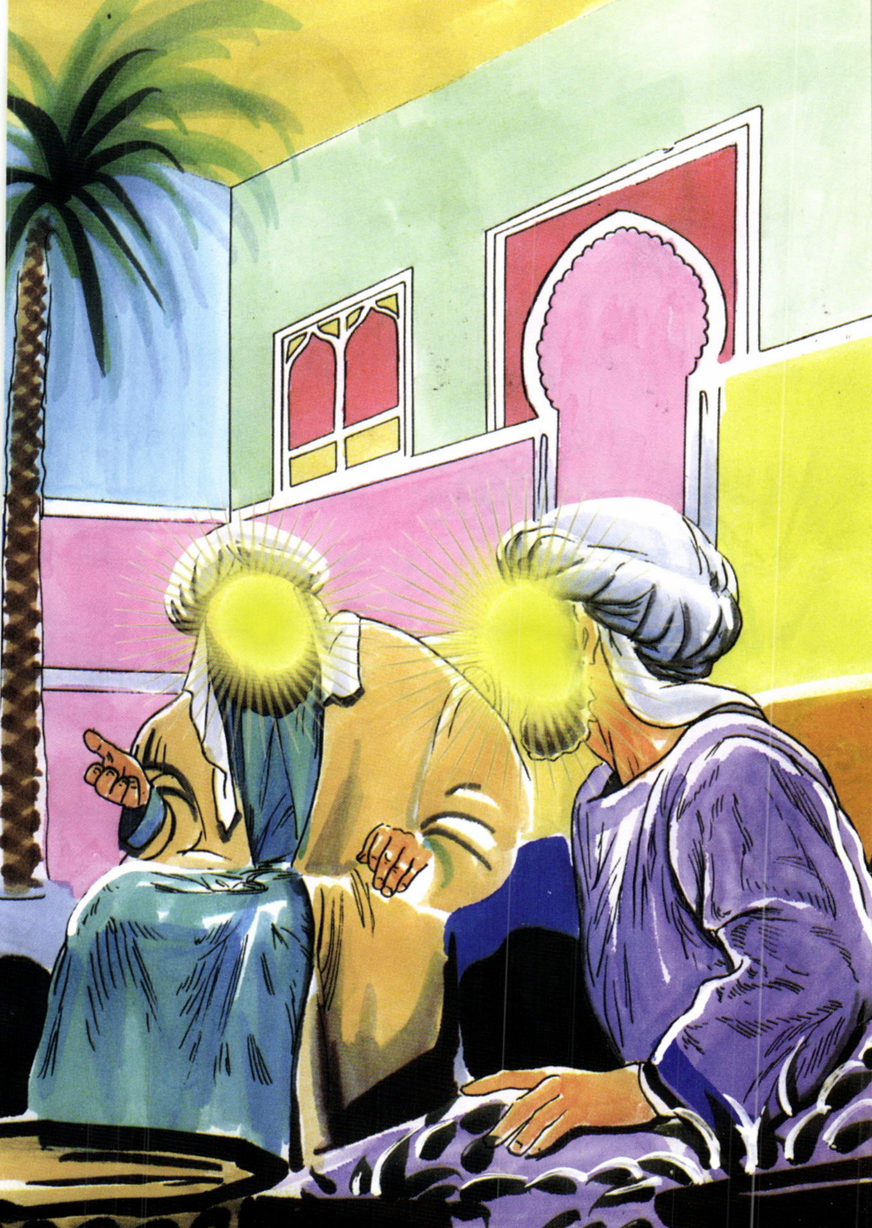
ما كانَ ينتظرُهُ النّبيُّ(ص) تحقّقَ، وجاءَ عليٌّ(ع) قاصداً بيتَهُ، طالباً يدَ ابنتِهِ.

فقالَ النّبيُّ(ص) بعدَ أن تهلّلَ وجهُهُ بالبِشرِ:" يا عليُّ، قد ذكرَها قبلَكَ رجالٌ، فذكَرْتُ ذلكَ لها، فرأيْتُ الكراهَةَ في وجهِها، ولكنْ على رِسْلِكَ حتّى أخرُجَ إليكَ.".

دخلَ النّبيُّ (ص) حجرَةَ ابنتِهِ، وأخبرَها أنّ عليّاً(ع)، جاءَ يخطبُها.

ولم يكنِ النّبيُّ(ص) بحاجةٍ إلى أن يخبرَ الزّهراءَ(ع) من يكونُ عليٌّ. إنّها تشهدُ لهُ بنفسِها بما رأتْ وسمِعَتْ، وكانَ ممّا قالَهُ النّبيُّ(ص) لها: " وإنّي قد سألْتُ ربّي أن يزوّجَكِ خيرَ خلقِهِ، وأحبَّهُم إليهِ، وقد ذكرَ مِنْ أمرِكِ شيئاً، فما ترَين؟".

فسكَتَتِ الزّهراءُ(ع)، ولم تولِّ وَجْهَها. ففهِمَ النّبيُّ(ص) قَصْدَها، وقامَ وهو يقولُ:" اللهُ أكبرُ! سكوتُها إقرارُها!".



كانـــتْ فرحةُ النّبــيِّ (ص) لا توصفُ، وقد اطمأنَّ بالُــهُ على فاطمــةَ (ع) معَ أحبِّ النّـــاسِ إليهِ، وراحَ يحضّرُ ما يلزمُ لإتمــامِ الزّفافِ المباركِ، بما يصلُحُ ليقتديَ بهِ المسلمونَ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ.

ســأَلَ النّبــيُّ (ص) عليّــاً (ع): "هــل معكَ شــيءٌ لأُزوّجكَ بهِ؟".

فقـــالَ عليٌّ (ع): "فــداكَ أبي وأمّي! واللهِ لا يَخفى عليــكَ من أمــري شــيءٌ، أملِــكُ ســيفي ودِرعي وناضحي (البعير الّذي يحمل عليه الماء).".

نعم، هذا هو ما كانَ الإمامُ (ع) يملكُهُ!! فماذا قالَ لهُ النّبيُّ (ص)؟

قــالَ لهُ: "يا عليُّ! أمّا ســيفُكَ، فلا غنى بكَ عنهُ، تُجاهِــدُ بــهِ فــي ســبيلِ اللهِ، وتقاتلُ بهِ أعــداءَ اللهِ، وناضِحُــكَ تنضَحُ بهِ علــى نخلِكَ وأهلِكَ، وتحملُ عليهِ رحلَكَ في سفرِكَ، ولكنّي قد زوّجتُكَ بالدّرعِ، ورضيتُ بها منكَ، بعِ الدّرعَ وأْتِني بالثّمَنِ!".



الشفاعة

كانتْ درعُ عليٍّ (ع) غنيمةً كسبَها من غزوةِ بدرٍ، وقد أعطاها لهُ النّبيُّ (ص)، فباعَها بما يقاربُ الخمسَمائةِ درهمٍ، ثمّ أحضرَ المالَ وقدّمهُ إلى النّبيِّ (ص)!

نعم كانتِ الدّرعُ تلكَ هيَ مهرَ سيّدةِ نساءِ العالمينَ، وبذلكَ يسّرَ النّبيُّ (ص) لأبناءِ أُمّتِهِ وبناتِها أن يترفّعوا عن المالِ الكثيرِ في سبيلِ الزّواجِ والاستقرارِ والأسرةِ.

وكانَ عرسُ الزّهراءِ (ع) عرسَ الكونِ كلِّهِ، الّذي أُقيمَتِ احتفالاتُهُ في السّماءِ قبلَ الأرضِ. حضرتْهُ الملائكةُ، فسبَّحَتِ اللهَ وحمدَتْهُ قبلَ البشَرِ.

أمّا المهرُ الحقيقيُّ للزّهراءِ عليها السّلامُ، فقد نزَلَ بهِ جبريلُ (ع)، بعدَ أن طلبت (ع) من أبيها أن لا يكونَ مهرُها مالاً، بل أن يكونَ الشّفاعةَ في مذنبي أُمّةِ النّبيِّ (ص).

واستجابَ اللهُ تعالى، فأرسلَ جبريلَ(ع)،
ومعهُ قطعةٌ من حريرٍ مكتوبٌ فيها:
(جعلَ الله مهرَ فاطمةَ الزّهراءِ شفاعةَ
المذنبينَ من أُمّةِ أبيها).
فهل في الكونِ أغلى من مهرِ الزّهراءِ؟!

